

المبحث السادس :

اللغة العربية وبعض لغات المسلمين، ونقد موقف
(راند) منها

المبحث السادس

اللغة العربية، وبعض لغات المسلمين، ونقد موقف (راند) منها

اللغة في أصلها اللغوي: من لغا لغواً بمعنى التكلم، والنطق، والصوت، وبمعنى السَّقَط وما لا يعتد به من كلام وغيره، وبمعنى صوت الطير^(١).

وتُعَرَّف اللغة في الاصطلاح بأنها: «أصوت يعبرُ بها كل قوم عن أغراضهم»^(٢).

أهمية اللغة العربية:

يقول ابن تيمية رحمه الله: «اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب، فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب. ثم منها ما هو واجب على الأعيان، ومنها ما هو واجب على الكفاية»^(٣).

ولاعتقاد العربية أثر تربوي «يؤثر في العقل والخلق والدين، تأثيراً قوياً بيناً، ويؤثر أيضاً في مشابجة صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين، ومشابجتهم تزيد العقل والدين والخلق»^(٤).

يقول مستشار تعليمي في باكستان: «إن المسلم العالم باللغة العربية أفضل إسلاماً من غيره»^(٥).

(١) القاموس المحيط، ص ١٧١٥-١٧١٦؛ ولسان العرب ١٥/٢٥٠-٢٥٢، مادة: (لغا)، كلاهما.

(٢) الخصائص، عثمان بن جني، تحقيق محمد علي النجار، (بيروت، دار الكتاب العربي، د.ت)، ٣٣/١.

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم ١/٤٦٩.

(٤) المرجع السابق.

(٥) اللسان العربي بين الانتشار والانحسار، عبد الرحمن خليف، سلسلة دعوة الحق (١٠١)، (مكة المكرمة، رابطة العالم الإسلامي، ١٤١٠هـ)، ص ٩؛ نقلاً عن مجلة العالم الصادرة بلندن في ٢٣/٣/١٩٨٥م، والمستشار هو يوسف علي.

ويقول مستشرق فرنسي: «إن نُظِم أي شعب إسلامي تكون أكثر إسلامية كلما اقتربت لغته من لغة القرآن»^(١).

لم تحفل (راند) بدراسة عن اللغة العربية دراسة موسعة، ولكن تطرقت يسيراً إلى بعض جوانب فيها في بعض دراساتها العامة. وتهدف من تناولها للغة، محاولة الاستدلال إلى علاقة بينها وبين انتشار التطرف في العالم^(٢)، فقد تكون اللغة متهمة في نقل التطرف! وتارة تهدف إلى مجرد رصد التجارب السابقة لمواقف الاستعمار أو نوابه من بعده من بعض لغات المسلمين.

وهذان الهدفان هما مطلباً هذا المبحث.

(١) النظم الإسلامية، موريس غودفروا ديمومبين، ترجمة د. فيصل السامر، و د. صالح الشماع، (بيروت، دار النشر للجامعيين، ١٩٦١م)، ص ١٢.

(٢) ينظر التصريح بهذا الهدف: The Muslim World after 9/11. P. 32

المطلب الأول: أهمية اللغة العربية عند (راند)، وعلاقتها بـ(التطرف) وبنشر الإسلام:

تذكر دراسة (العالم الإسلامي بعد ٩/١١) في أهمية اللغة العربية: أن «اللغة السائدة في الشرق الأوسط هي العربية. والعربية توحد السكان على تباينهم، وتساعدهم على تجاوز الحدود الوطنية. وهي أيضًا لغة القرآن الكريم، ومن ثم فهي أكثر من مجرد وسيلة للمحادثة والتخاطب السياسي والتجاري مثل الإنجليزية أو الفرنسية^(١). إنها تحتوي على رمزية تاريخية ودينية عميقة^(٢)، وقد استُخدمت بشكل فعال للغاية في العصر الحديث من قبل المتطرفين الدينيين الذين يسعون في التأثير على المسلمين الناطقين بالعربية. كما استخدمت بصفاتها وسيلة لتصدير الإسلام والثقافة العربية لغير العرب في أنحاء من العالم الإسلامي»^(٣).

وتقول في موضع آخر: «تتشرك البلدان العربية من المغرب إلى العراق، في اللغة والتقاليد، وعناصر التاريخ والثقافة المشتركة، التي تعطي المنطقة هوية مميزة، تميزها عن الأجزاء الأخرى من العالم الإسلامي. العامل الرئيس الموحد هو اللغة العربية التي هي لغة القرآن، ولا مثل لها في

(١) إن نعتهم اللغة الإنجليزية أو الفرنسية بأنها لغة تخاطب وتفاهم فحسب، نعت غير صحيح، فاللغات لدى كل الشعوب تمثل أبعد من هذا، فهي هوية الأمة، وتاريخها، وثقافتها، وحياتها الاجتماعية؛ ولذا كانت عناية الأمم بلغاتها ظاهرة. لكن اللغة العربية تميزت بجملة من الخصائص انفردت بها عن سائر اللغات، من اصطفاء الله لها، وتمكينه لأسباب صيانتها وحفظها، وغيرها من الخصائص.

(٢) قد يكون المراد بالرمزية: «أنها قابلة للإدراك لمجموعة محددة من مستعمليها الذين اصططلحوا على دلالتها، وتكون في حد ذاتها بلا دلالة أو ناقصة الدلالة إذا أدركها أحد من غير المجموعة، كاللغة الإشارية المستخدمة بين طائفة من اللصوص أو عصابة من العصابات، أو جماعة مهنية خاصة». المهارات اللغوية: مدخل إلى خصائص اللغة العربية وفنونها، د. محمد صالح الشنطي، (حائل، دار الأندلس، ١٤١٧هـ)، ص ١٢.

الهيبة والسلطة الدينية. إن اللغة والثقافة المشتركة سهلت انتقال القيم والأفكار، وظهور وسائل إعلام إقليمية^(١).

مع التسليم بأكثر ما جاء في هذين النصين، إلا أنه لمن العجب أن يُنظر إلى اللغة العربية على أنها سلاح يمكن أن يستخدمه (المتطرفون)! إذاً فليتهموا الدولار الأمريكي بأنه وسيلة لنشر التطرف، فماذا سيكون فعلهم تجاهه؟ هل سيغيرون عملة الدولار إلى عملة جديدة؟ أم يمنعون تصديره إلى الدول التي يمكن أن تستخدمه في التطرف؟ أو فليتهموا الهواء، أو الماء، أو غيره من الأشياء التي يشترك فيها الناس برهم وفاجرهم، مسلمهم وكافرهم، مما لا يصح توجيه التهمة إليها مباشرة، وإنما توجه إلى من أساء استخدامها.

إن اللغة العربية بريئة من التطرف أو نقله، بل إن أصل وضعها يقوم على الاعتدال، يقول الدكتور الشنطي: اتصفت اللغة العربية بمبدأ الاعتدال، فأكثر كلماتها وضعت على ثلاثة أحرف، وقليل منها أصله رباعي أو خماسي؛ لئلا يطول النطق ويعسر، ولم يكثر من الكلمات الثنائية؛ خشية من تتابعها في العبارة الواحدة بما يضعف متن الكلام، في حين خرجت بعض اللغات الأخرى عن الاعتدال^(٢) ١. هـ. "ولذلك نجد في كلام العجم في مخاطباتهم أطول مما نقدره بكلام العرب"^(٣).

ولمَّا نزل القرآن الكريم ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾^(٤) منح العربية مزيداً من الاعتدال، من خلال منهج الوسطية الذي أثبتته ودعا إليه، وطريقته في التنفير من الإفراط والتفريط، والغلو والتقصير.

كما جاء النبي ﷺ -وهو أفصح العرب- بإضفاء آخر على اللغة العربية، منحها -مع اعتدالها- مزيداً من الاعتدال، فهي ﷺ عن الثثرة في الكلام، وعن التشدق، وعن قسمٍ من

(١) المرجع السابق: P. 31-32.

(٢) المهارات اللغوية، ص ٥٢.

(٣) مقدمة ابن خلدون ٣/ ١٢٦٥.

(٤) سورة الشعراء، الآية: ١٩٥.

السجع وهو «ما كان متكلفاً أو متضمناً لباطل»^(١)، وأدب ﷺ الناس -من خلال خطبه وكلامه- على الإيجاز، والقول الفصل. قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي يَوْمَ الْقِيَامَةِ الثَّرَاوُونَ، وَالْمُتَشَدُّونَ، وَالْمُتَفَيِّهُونَ». قالوا: يا رسول الله، قد علمنا الثرارين والمتشدين، فما المتفهيون؟ قال: «الْمُتَكَبِّرُونَ»^(٢).

وقد يكون منشأ التكبر هنا: التوسع في الكلام، حيث جاء في تعريف المتفهيين بأنهم: «هم الذين يتوسعون في الكلام ويفتحون به أفواههم»^(٣). و«الثرار: هو كثير الكلام، والمتشدد: الذي يتناول على الناس في الكلام، ويذو عليهم»^(٤).

ولمَّا حكم رسول الله ﷺ على عاقلة قاتلة بدية جنين، قال بعض العصابة: «أنغرم دية من لا أكل ولا شرب ولا استهل! فمثل ذلك يطل»، فقال رسول الله ﷺ: «أَسْجَعُ كَسْجَعِ الْأَعْرَابِ»^(٥). وفي رواية: «إِنَّمَا هَذَا مِنْ إِخْوَانِ الْكُفَّانِ»^(٦).

(١) فتح الباري لابن حجر ١٣/٥٥٠.

(٢) أحمد ٢٩/٢٦٧، ح ١٧٧٣٢؛ والترمذي ٤/١١٢، وقال: "حسن غريب"، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في معالي الأخلاق، ح ٢١٣٧؛ وقال علي بن أبي بكر الهيثمي: "ورجال أحمد رجال الصحيح"، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق عبد الله بن محمد الدرويش، (بيروت، دار الفكر، ١٤١٢هـ)، ٤٦/٨، ح ١٢٦٦٥.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، المبارك بن محمد بن الأثير الجزري، تحقيق محمود محمد الطناحي، وظاهر أحمد الزاوي، ط ٢، (بيروت، دار الفكر، ١٣٩٩هـ)، ٤٨٢/٣، مادة: (فهق).

(٤) الترمذي ٤/١١٣، وهو من كلامه.

(٥) مسلم ٣/١٣١٠-١٣١١، كتاب القسامة، باب دية الجنين ووجوب الدية في قتل الخطأ وشبه العمد على عاقلة الجاني، ح ١٦٨٢.

(٦) البخاري ٧/٣٥، كتاب الطب، باب الكهانة، ح ٥٧٥٨.

واللغة العربية بعلومها المتنوعة من الشعر والنثر وغيرهما، تربى في متعلمها النقد الخلقى الذاتي لألفاظه التي ينطق بها، وطباعه التي يتعامل بها، عندما يقيس سلوكه الذاتي بالمضامين الأدبية في جانب الأخلاق والسلوك؛ وهذا يقوي جانب النقد الخلقى الذاتي، الذي يساعد على تقويم السلوك، وإصلاح العيوب، وترقية الأخلاق؛ فللعربية آثار تربوية عظيمة في اكتساب الفضائل الخلقية، وهجر الرذائل السلوكية^(١).

ويذهب فرنسي^(٢) من كبار المستشرقين إلى ضد ما ذهبت إليه (راند)، حينما يصف اللغة العربية: بأنها «أداة الإسلام لنشر السلام بين الأمم قاطبة»^(٣).

ولعل قضية الإرهاب والتطرف صارت رهاباً لدى بعض خبراء (راند)؛ حتى صارت تُلصق بالأشخاص والدول والأماكن واللغات، وأشياء كثيرة، لا سيما مع عدم وجود إرادة اعتماد تعريف محدد للإرهاب والتطرف، لا من قبل الحكومة الأمريكية ولا من قبل (راند).

إن ذهابهم إلى محاولة إيجاد علاقة بين اللغة والتطرف، هو في منتهى السذاجة، وهو من الأوليات التي يمكن أن تسجل في سجل السبق الأسود للولايات المتحدة، وينم عن أحد أمرين: إما سطحية في التفكير، وهذا مستبعد، وإما محاولة لتشويه اللغة العربية لغة القرآن، وجعلها من المحظورات؛ بسبب زعمهم أنها وسيلة لنقل التطرف؛ وذلك من أجل محاصرتها، ومنع انتشارها، وتعلمها وتعليمها، وحظر مناهجها والكتب المؤلفة بها، وبخاصة عند غير العرب؛ وقد يؤدي هذا إلى قطع العلاقة مع العرب أنفسهم، وحجب الدعوة المنطلقة من ديارهم، وهذا هو التفسير المترجح عند الباحث؛ حيث نبهت دراسة (العالم الإسلامي بعد

(١) الآثار التربوية لدراسة اللغة العربية، أ.د. خالد بن حامد الحازمي، (المدينة المنورة، دار الزمان، ١٤٦٢هـ)، ص ٨٠-٨١، ٩٢.

(٢) هو (لويس ماسينيون)، حصل على دبلوم اللغة العربية، ثم الدكتوراه لبحث (آلام الحلاج)، أقام في عدد من عواصم الدول العربية، له ما يزيد على (٦٥٠) ما بين تأليف، وتحقيق، وترجمة، ومقالة، وغيرها، توفي عام ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م. المستشرقون ١/٢٨٧-٢٨٩.

(٣) معالم الشريعة الإسلامية، ص ٨٨. نقلاً عن "العربية لغة الإسلام الدينية المقدسة"، ماسينيون، في صحيفة الجنوب عام ١٩٣٥م.

٩/١١) إلى توجه باكستان إلى هوية الشرق الأوسط، من خلال نشاطها في تعليم اللغة العربية منذ عام ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م، وفرض مادة اللغة العربية في المدارس الثانوية والمتوسطة، وعقد اتفاقيات مع المملكة العربية السعودية لتعزيز تعليم اللغة العربية؛ مما أدى إلى تدفق الأموال والثقافة العربية^(١). كما ذكرت نفس الدراسة: أن الصحوة الإسلامية توجهت لدى المسلمين في العالم -خارج الدول العربية في الشرق الأوسط- خلال العقود الثلاثة الماضية إلى استيراد العقيدة والأفكار الدينية والاجتماعية والممارسات الظاهرة، من المنشأ العربي، واعتمدت عناصر من الثقافة الدينية العربية؛ لإظهار مزيد من التقوى^(٢). وقالت أيضاً: إن العرب «لا يشكلون سوى نحو ٢٠٪ من مسلمي العالم، ولكن توضيحات الإسلام السياسية وغيرها كثيراً ما كانت من خلال المنظور العربي»^(٣).

إن محاولة تشويه اللغة العربية، وحجبها عن التأثير في العالم الإسلامي، هو التفسير المتروح في موقف (راند) منها، لا سيما إذا عُلِمَ أنَّ «قوة لغة أمة من الأمم، وسعة انتشارها... دليل قوة ثقافتها، وتماسك عناصرها، وضمان استمرارها وهيمتها... لذا كان الصراع عنيقاً بين الأمم لفرض اللغة، الذي يتبعه -بالضرورة- فرض الثقافة، ثم يكون من نتاج ذلك حصول الهيمنة الفكرية للأمة المتغلبة خارج حدود وطنها»^(٤).

وهم بذلك يسعون إلى نفس الأهداف التي سعى إليها الاستشراق القديم، فهم يخدمون الاستعمار الحديث، كما خدم الاستشراق القديم الاستعمار القديم، مستخدمين بعض أساليبه، ويضيفون عليها جديداً عندما يتهمون اللغة بنقل التطرف.

وأما قولهم: إن اللغة العربية «استخدمت بصفقتها وسيلة لتصدير الإسلام»، فلا عجب أن تكون اللغة العربية وسيلة لنشر الإسلام، فالله سبحانه أنزل كتابه بالعربية، وأمر نبيه ﷺ بأن

(١) The Muslim World after 9/11. P. 41, 272

(٢) المرجع السابق: P. xix

(٣) نفسه: P. xviii

(٤) التربية اللغوية العربية، ص ٣-٤.

يُذَكِّرُ بِهِ: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾^(١)، وأمره أن ينذر به أهل مكة وغيرها من البلاد: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّنُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَنُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾^(٢)، ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾^(٣). وكاتب النبي ﷺ الملوك من غير العرب باللغة العربية. وجعل الشارع الحكيم اللغة العربية -إجمالاً- لغة العبادة. ولن يعلم أحد معاني الكتاب والسنة على الكمال إلا بواسطة اللغة العربية، فهي الطريق إلى فهم الدين، وما نبغ من نبغ في علوم الشريعة من الأعاجم الذين دخلوا في الإسلام إلا بالعربية، سواء كانوا في مجال الحديث، أم التفسير، أم الفقه، أم غيرها، وما تشوقت نفس داخل في الإسلام ليتعلم الإسلام عن كذب، وهو لا يعرف العربية، إلا انكب وعكف على تعلم العربية، ليعرف الإسلام باللغة التي نزل بها.

فنشر الإسلام باللغة العربية أمر متبع، بدلالة الكتاب والسنة، وسنة ماضية في سيرة الخلفاء والعلماء، وفطرة مكنونة لدى مستشرقي علم الإسلام. وأما قولهم: «العامل الرئيس الموحد هو اللغة العربية»! فيقال لهم: بل الموحد هو الإسلام، لا اللغة على جلاله قدرها، وقد كانت العرب في الجاهلية تتكلم العربية، وتفتخر بها، وتعلي من شأنها، فلم توحدهم، ولم تجمع شملهم، لكن لما جاءهم الإسلام وحدهم عرباً وعجماء، كما قال قائلهم:

«أبي الإسلام لا أب لي سواه ... إذا افتخروا بقيسٍ أو تميم»^(٤).

فالإسلام أقوى توحيداً من اللغة، ومن القبيلة.

(١) سورة ق: من الآية: ٤٥.

(٢) سورة الشورى، الآية: ٧.

(٣) سورة الفرقان، الآية: ١.

(٤) الكامل في اللغة والأدب، محمد بن يزيد المبرد، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ)، ١٥٣/٢، ونسبه إلى نهار بن توسعة اليشكري.

وأما قولهم: توضيحات الإسلام كانت من خلال المنظور العربي. فلا عجب فيه، فإذا كان الكتاب والسنة عربيين، ونبي هذه الأمة ﷺ عربيًا، والصحابة رضي الله عنهم الذين نقلوا لنا فهم الكتاب والسنة نقلوه بالعربية، فمن الطبيعي أن يكون الفهم الصحيح للإسلام عربيًا، بشرط أن يكون موافقًا لفهم السلف من الصحابة ومن بعدهم رضي الله عنهم. قال ابن تيمية رحمه الله: «فإن الله تعالى لما أنزل كتابه باللسان العربي، وجعل رسوله مبلغًا عنه للكتاب والحكمة بلسانه العربي، وجعل السابقين إلى هذا الدين متكلمين به؛ لم يكن سبيل إلى ضبط الدين ومعرفته إلا بضبط اللسان، وصارت معرفته من الدين، وصار اعتبار التكلم به أسهل على أهل الدين في معرفة دين الله، وأقرب إلى إقامة شعائر الدين، وأقرب إلى مشابھتهم للسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، في جميع أمورهم»^(١). وقال ابن خلدون رحمه الله: «مأخذ الأحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنة، وهي بلغة العرب، ونقلتها من الصحابة والتابعين عرب، وشرح مشكلاتها من لغاتهم»^(٢).

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ٤٠٢/١.

(٢) مقدمة ابن خلدون ١٢٦٤/٣.

المطلب الثاني: رصد موقف الدول الاستعمارية من بعض لغات المسلمين:

يتحدث (فولر) عن الاستعمار الفرنسي للجزائر، وطريقته في قطع الصلة بين الناس واللغة العربية، من خلال حظر جميع المؤسسات الإسلامية التي يمكن أن تقوم بالحفاظ على اللغة العربية وتنميتها في الشعب الجزائري، مثل مدارس القرآن الكريم، والمدارس الشرعية^(١).

ويبين أن الحكم الاستعماري الفرنسي استطاع خلال ثلاثين ومئة عام أن يفرض اللغة والثقافة الفرنسية، وأن تلقى إعجاب النخبة الجزائرية. وتحولت اللغة العربية بعد قمعها إلى لهجة محلية، ولم يبق سوى حلقة صغيرة من المدارس تمكنت من الحفاظ على اللغة المكتوبة، ولم تبدأ البلاد باستعادة مكانة اللغة العربية إلا عام ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م، وصار شعار الحزب الحاكم: (الإسلام ديني، واللغة العربية لغتي، والجزائر وطني). وتطلب عمل الجزائر على استعادة اللغة العربية التواصل مع العلماء والأساتذة في العالم الإسلامي؛ وأدى هذا إلى تأثر الجزائر بجماعات مثل جماعة الإخوان المسلمون، وبعلماء مثل الشيخ محمد بن عثيمين، ومهد للجهة الإسلامية للإنقاذ لتكون الحركة السياسية في العقد القادم. ومن جانب آخر أدت حملة استعادة العربية إلى إيجاد حالة من الصدع بين المتمسكين باللغة الفرنسية والساعين إلى العربية، وظهرت آثارها في القطاع العام والخاص، وصار يطلق على أنصار الفرنسية (الحزب الفرنسي)^(٢).

وفي الجانب العثماني التركي يتحدث (راباسا ولارابي) عن جهود (أتاتورك) في قطعه بين تركيا وماضيها الإسلامي، ومن ذلك أنه ألغى استخدام الحروف العربية في الكتابة باللغة التركية، ووضع مكانها الحروف اللاتينية، مع تعديل عليها لاستيعاب الأصوات التركية، كما قام بتصفية اللغة التركية من دخیلها العربي والفارسي^(٣).

(١) Algeria: The Next Fundamentalist State? P. 6

(٢) ينظر المرجع السابق: P. 10-13

(٣) The Rise of Political Islam in Turkey. P. 33

وفي لغة الملايو^(١)، حيث يمثل العرق الملايو المسلم في جنوب شرق آسيا ٦٠٪ من عدد السكان^(٢)، يتحدث (تشوك) عن بعض أساليب الحكومة التايلندية - خليفة الاستعمار - تجاه المسلمين الملايو في جنوب تايلند، خلال القرن الميلادي المنصرم، ومن ذلك أنها شرعت في برنامج تحديث، من أهدافه: القضاء على العادات الإسلامية، واللهجات، وفرض التماثل في اللغة والسلوك الاجتماعي، واتخذت خطوات للتخلص التدريجي الكامل من الشريعة الإسلامية. وفي عام ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٧م كرست السلطة مزيداً من العناصر الراسخة في مقاومة أي شكل من أشكال جهود مسلمي الجنوب الإقليمية: اللغوية، والثقافية، والدينية، أو الحكم الذاتي، وقطع الصلة بين الملايو المسلمين في الهوية العرقية المالوية والدينية^(٣).

ويجد الباحث من نتائج هذا الرصد: أنَّ عمل الجزائريين على استعادة العربية أدى إلى احتياجهم إلى بعض البلدان الإسلامية، ومن ثم تأثرهم بمناهج متعددة فيها، كان أحدها الدعوة السلفية. ومن نتائجه أيضاً: إبراز الخلاف بين أنصار العربية وغيرهم، وهو أمر يمكن أن يستغله الغرب.

ولا يجد بعد هذا أي رأي أو مقترح لخبراء (راند) تجاه اللغة العربية أو أي لغة للمسلمين، لكن بصفة عامة سيبقى هذا الرصد في قواعد المعلومات لدى (راند)، يمكن الرجوع إليه والبناء عليه في دراسات لهم قادمة.

لكن تبرز -على أرض الواقع- جهودُ لوزارة الخارجية الأمريكية في نشر اللغة الإنجليزية في باكستان بخاصة^(٤)؛ فلم يقتصر الأمر على التحذير من اللغة العربية في باكستان، وقصر الناس

(١) الملايوية: هي اللغة الوطنية في إندونيسيا، وماليزيا، وبروناي، ولغة الملايين في جنوب تايلند، وإحدى اللغات الرسمية في سنغافورة. يبلغ مجموع المتحدثين بهذه اللغة ما يقرب من ٢٠٠ مليون شخص. الموسوعة العربية العالمية، ٢٤/١٠٤.

(٢) Southeast Asia After 9/11: Regional Trends and U.S. Interests, (Testimony), Angel M. Rabasa, (Santa Monica, Rand, 2001). P. 7.

(٣) The Malay-Muslim Insurgency in Southern Thailand. P. 2

(٤) تنظر بعض هذه الجهود في دراسة (راند): Pakistan: Can the United States Secure an Insecure State? P. 175-176.

على اللغة المحلية، بل ظهرت الجهود التغريبية عن طريق اللغة الإنجليزية بما تحمله اللغة من ثقافة وتأثير، فالقضية إذن بكل تأكيد: صراع حضارات.

إنَّ اللغة العربية بريئة من التطرف، ويُراد من نعتها بأنها ناقلة له حجب انطلاق الدعوة الإسلامية من الدعاة العرب، ومنع تأثيرهم على المسلمين في العالم، والتمكين للحضارة الغربية للحلول محل التأثير الإسلامي العربي؛ فينبغي أن لا يثني هذا النعت الدعاة العرب عن مواصلة دعوتهم ونشر الإسلام وأحكامه في العالم، فالدعوة الإسلامية منهم بدأت وإليهم تعود، وتقصيرهم يؤثر على الدعوة بالضعف في العالم أجمع؛ وألا يثني الدول والشعوب الإسلامية عن الإقبال على اللغة العربية لغة القرآن وتعلمها وتعليمها، ونشر معاهدها ومؤسساتها، فإنها من دينهم.

إن «أعداء العربية كثيرون، حاربوها بأسلحة لا تثبت أمامها أي لغة في العالم، ولكنها - بحمد الله - ما زاداها الزمن إلا رسوخًا وشموخًا. ولسوف تزداد قامتها مع الزمن امتدادًا، وهي تزهر بغضاضة شبابها، ورونق نضارتها»^(١).

و«إن مسؤولية العرب في نشر لغة القرآن مسؤولية عظيمة وخطيرة، خصوصًا بعد أن تبينت آثار العواصف التي نسفت الجاهلين بهذا اللسان أكثر من سواهم، والله يقول لنبينا ﷺ: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾^(٢). إن الإشارة في هذه الآية ذات مدى أوسع ومعنى أشمل، وفي ضمن ذلك أن العرب - دون غيرهم من الأقوام - قد جعلهم الله في المرتبة الأولى من مراتب مسؤولية التبليغ، وما من شك في أن التبليغ لا يأتي بأعظم النتائج وأسلمها إلا مع نقل القرآن باللفظ المنزل على الرسول ﷺ، كما أنه لا أنفع لقارئ القرآن من أن يكون على معرفة باللسان الذي نزل به القرآن»^(٣).

(١) اللسان العربي بين الانتشار والانحسار، ص ٢١.

(٢) سورة الزخرف، الآية: ٤٤.

(٣) اللسان العربي بين الانتشار والانحسار، ص ١٠.